قلبهـــــا ينبـــــض عشـقًا للأردن مـــــــن رحـــــــاب القـــــدس

محمد هاشم غوشة *

يتطلب الحديث عن الدكتورة هند منا أن نقف أمام قامة علمية باسقة، أعمالها بحجم جبال عجلون التي ولدت فيها، والتي ستبقى خالدةً تحكي قصة مؤرخة عشقت التراث والتاريخ، فأبدعت في مختلف المراحل.

لهند أبو الشعر، علاقة عشق أبدية تربطها بالقدس، فعائلتها التي عشقت القدس من قبلها، عرفت المدينةَ جيلًا بعد جيل، حيث تعود علاقة العائلة بالمدينة المقدسة إلى سنة ١٨٨٥م، حين اعتادت أن ترسل أبناءها للتعلم في مدرسة تيراسانطا في القدس القديمة. ولعل الوثائق التاريخية تُسعفنا بمزيد من الحجج التي توثق حضورَ العائلة بين القدس وعجلون في فترة تسبق ذلك التاريخ.

---

* مدير مركز الحسن بن طلال لدراسات القدس لمرحلة ما بعد الدكتوراه.

قبل سنة ١٩١٠م كان عقيل أبو الشعر أول من وصل إلى القدس لينهل من علوم مدارسها، تبعه شقيقه سليم أبو الشعر، ثم تخرج ابنه نجيب من مدرسة تيراسنطا في حدود سنة ١٩٢٠م، وكذلك فعل غسان أبو الشعر والد الدكتورة هند.

اليوم، تواصل الدكتورة هند مسيرة عائلتها في عشق القدس، بتراثها وحضارتها وقداستها وروحانيتها، من خلال أعمالها التوثيقية للمدينة المقدسة، فقد أعدّت للنشر كتابًا توثيقيًا كبيرًا، وعملًا استثنائيًّا يحكي قصة القدس، من خلال أرشيف غير مسبوق تركه الصحفي المقدسي جرجي حبيب حنانيا في صحيفته (القدس) التي كانت تصدر أواخر العهد العثماني، في الفترة ما بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤. والمؤرخون الذين يجلسون بيننا يقدرون أهمية هذه الفترة التي تأتي بعد الدستور العثماني وقبيل الحرب العظمى الأولى.

وتتشرف مؤسسة التراث العربي التي أديرها، بأنها ستكون الناشر لهذا العمل الكبير الذي يتضمن معلومات غير مسبوقة تُضاف إلى سجل الأعمال الكبيرة التي توثق للقدس، فهذا الكتاب الذي يأتي في أزيد من ٥٠٠ صفحة، والذي وثق ما تحتضنه الصحيفة من يوميات للقدس، يتضمن تفاصيل لا تقل أهمية عن حجج سجلات المحكمة الشرعية، وبذلك تكون هند أبو الشعر قد فتحت الباب للدارسين لكي ينوعوا من مصادرهم، من خلال هذا الإنجاز الأكاديمي الرائع، وكأنها دعوة تُطلقها أن ابحثوا عن مصادر جديدة للكتابة والإبداع.

تعود بي الذاكرة إلى سنوات مضت، عندما دعا منتدى الفكر العربي إلى ندوة علمية عن مؤرخ القدس والخليل مجير الدين الحنبلي العُليمي، فكنتُ محاضرًا في هذه الندوة، إلى جانب الأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر، التي تحدثت عن كتابه (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل). والحق يُقال: لقد قدّمت الدكتورة هند محاضرةً غير مسبوقة عن كتاب مجير الدين، تناولت فيها مضامين تاريخية ومنهجية طُرحت لأول مرة، على الرغم من أنّ الكتاب صدر قبل أكثر من خمسمائة سنة.

الأعمال الكبيرة تأتي من كبار العلماء، وهذا الكتاب الذي سيخرج إلى حيز النور مطلع العام الجديد، هو كبير بمؤلفته، وبما يتضمنه من تفاصيل غاية في الأهمية.

هند أبو الشعر، هي باحثة أكاديمية مميزة، وأديبة من الطراز الرفيع، تعشق الأردن، تاريخًا وحضارةً، أما قلبها الكبير ـ حماها الله ـ فينبض من رحاب القدس بدقّات تتناغم مع أجراس كنيسة القيامة.

نبارك للدكتورة هند جهدها، ونشكرها على كل ما قدمته، ونتمنى لها العمر المديد، والصحة، والطمأنينة، لكي تبقى تتحفنا بأعمالها النوعية.